نوازع الشوق والحنين لدى شعراء المهجر
إيليا أبو ماضي نموذجا
دراسة أدبية

د. الزروق عبد الحميد علي
ماجدة الهادي الماني
أسماء محمد حيدر

المبـــحث الأوَّل

- **إيليا أبو ماضي (حياته- تعلُّمه- شعره- وميزاته- إيليا في مصر بين الشِّعر و التِّجارة).**
- **نشأة الأدب المهجري (الهجرة- بداية الهجرة- أسباب الهجرة ودوافعها).**
- **مفهوم الشَّوق و الحنين.**
- **الشَّــوق و الحنين في الشِّعر المهجري.**

إيليا أبو ماضي

حياته:

ولد إيليا أبو ماضي في قرية المُحَيْدِثة[1] التَّابعة لقضاء المتن الشّمالي بلبنان بالقرب من جبل صنين الَّذي أضفى عليها من جماله سحرًا ومن نسيمه طراوة ومن خمائله أبهة وجلالًا[2]، ولكن هناك اختلاف في السنة التي رأى فيها الشاعر نور الوجود، فذكر الأستاذ محمّد قرّة علي في جريدة "الحياة" اللّبنانية أنَّ إيليا أبو ماضي ولد عام 1890، وأمَا الأستاذ "جورج صيدح" ذكر في كتابه أدبنا وأدباؤنا في المهجر أنَّه ولد عام 1890[3]، وهذا ما ذكره أيضا الأستاذ محمد عبد الغني في كتابه أشعار وشعراء المهجر، وهي السَّنة الَّتي حملت إلى العالم نبأ هذا الشّاعر الَّذي لم يكن أحد يدري أنَّه سيحتل مكان الزَّعامة في شعر المهجر[4].

من أجل هذا ذهب الدَّارسون إلى تخمين تاريخ مولده أهو في سنة 1883 أم في 1889 أم في 1892، أم في سنة1894م [5].

وفي سنة 1902 حدَّثته نفسه بالهجرة إلى أمريكا فترك قريته، وتوجَّه أوَّلًا إلى الإسكندرية وما يزال في الحادية عشر من العمر[6].

---

(1) ــ الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت معجم البلدان، المُحدَّثة: هو مؤنث المُحدّث ويقصد بها ماء و نخل في بلاد العرب ولها جبل يسمَّى عمود المُحدِثة، المجلَّد الخامس، ط دار بيروت، ص 60.

(2) ــ المعوش سالم ، إيليا أبو ماضي بين الشّرق و الغرب في رحلة التَّشرد و الفلسفة و الشَّاعرية، مؤسَّسة بحسون للنَّشر، الطّبعة الأولى، ينظر ص28

(3) ــ النَّاعوري عيسى ، أدب المهجر، الطَّبعة الثَّالثة، ط دار المعارف بمصر، ينظر ص 362.

(4) ــ حسن محمد عبد الغني ، أشعار و شعراء المهجر، ط دار الهلال، ص8.

(5)ــ المعوش سالم، إيليا أبو ماضي بين الشّرق و الغرب في رحلة التَّشرد و الفلسفة و الشَّاعرية، ، ينظرص28.

(6) ــ الفاخوري حنّا ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه، المجلّد الرّابع، ط دار الجيل، بيروت ، ينظر 644.

وإذا كان تاريخ رحيله إلى مصر يحدد في سنة 1902 و أنَّ عمره كان إحدى عشرة سنة، فيكون مولده سنة 1891 م .. و هذا ما تؤكِّده بعض المراجع الَّتي تشير إلى هذا التَّاريخ[1].

كانت مصر المحطّة الأولى في رحلة الشَّاعر، فقد كان صغيرًا ولكن نفسه لم تنطوِ على آثار الخبث والرِّياء والكذب من أجل الوصول كما يفعل الآخرون، حتَّى أنّه عندما اشتدَّ عوده و قويت شاعريته لم يمدح أحدًا و لم يتملَّق بشعره مسؤولا ، فقد عمل منذ أن وطئت قدماه أرض مصر في أحد الدكاكين يبيع التّبغ، فلم يكن الرّزق متوفرا له بالشَّكل الَّذي يحلم به إنسان اغترب عن أهله في بداية طفولته بحثًا عن الرِّزق، ويبدوا أنّه لقى بعض التَّعب أيَّام إقامته في مصر، بل بعض الضَّيم الَّذي كاد أن يلامسه[2]، و في ذلك قوله :

نَأَى عَنْ أَرْضِ مِصْرَ حَذَارَ ضَيْمٍ فَفَرَّ مِنَ العَذَابِ إِلَى الْعَذَابِ [3]

و بقى على هذه الحال إلى أن غادرها قاصدًا العالم الجديد في عام 1912[4]، واتَّجه إلى الولايات المتَّحدة واستقرَّ في مدينة (سنسناتي)، وفي سنة 1916م انتقل إلى(نيويورك) وإلى حياة الصَّحافة والأدب، فعُهد إليه تحرير "المجلة العربيَّة" وفي سنة1918م عُهد إليه تحرير مجلة "مرآة الغرب" لصاحبها نجيب دياب ، وفي سنة **1929**م أنشأ مجلة السمير وقد حولها سنة1936م إلى جريدة يومية ، وكان في سنة **1920**م قد اشترك في تأسيس الرابطة القلمية وكان شاعرها الفذّ الذي غزا صيته العالَميْن القديم والجديد[5].

تعلّـــــــــمُه :-

أما عن تعليمه فتُجمع المصادر على أن إيليا أبو ماضي الطفل الذي كان كسواه من الأتراب يجلس على كرسي الدراسة في مدرسة المحيدث القائمة بجوار الكنيسة يفكك الحرف والكلمة، ولم يرد على ذلك سوى أنه أتقن القراءة والكتابة فاستهوته مهنتها وحفرت في أعماقه أخاديد من الميل إليها فأسكنها إلى جانب روحه سراً دفيناً لم يدر أحد بأنه سيخرج إلى الحياة ذات يوم أنواراً مشعة ستبقى معلقة إلى الأبد [6].

في سنة1911م أصدر ديوانه الأوَّل بعنوان "تذكار الماضي" الّذي طبع بالإسكندريَّة، ويشمل القصائد الّتي نظّمها في مصر [7].

شعر إيليا أبي ماضي :-

تطور شعر أبي ماضي مع الزمن والبيئة، فكان في مصر تقليداً للشعر القديم، وجارياً على خطة شعر البارودي وشوقي وحافظ، وعندما انتقل الشاعر إلى العالم الجديد، وقد ازداد نضجاً وثقافة وانفتحت آفاقه راح يواكب رفاقه في الرابطة القلمية، ويقدم للعالم شعراً جديداً يعبر عن نفسّية العصر وروحيّة البيئة .

[1]ـ المعوش سالم ، إيليا أبو ماضي بين الشّرق و الغرب في رحلة التَّشرد و الفلسفة و الشَّاعرية، ، ينظر ص28.
[1] ـ المعوش سالم، إيليا أبو ماضي بين الشّرق و الغرب في رحلة التَّشرد و الفلسفة و الشَّاعرية، ، ينظر ص 30.
[3] ـ أبو ماضي إيليا، ديوان إيليا أبو ماضي، قصيدة مصر والشَّام، دار العودة، ص 649.
[4] ــ المعوش سالم، إيليا أبو ماضي بين الشّرق و الغرب في رحلة التَّشرد و الفلسفة و الشَّاعرية، ، ينظر ص28.
[5] ــ الفاخوري حنّا ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، ، ينظرص645.
[6] ــ المعوش سالم، إيليا أبو ماضي بين الشّرق و الغرب في رحلة التَّشرد و الفلسفة و الشَّاعرية، ينظر ص29.
[7] ــ حسن محمد عبد الغنى ، أشعار و شعراء من المهجر ، ، ينظر ص 9.

قال زهير ميزرا في مقدمة المجموعة التي أصدرتها دار اليقظة لشعر أبي ماضي : إذا نظرت في ديوانية [**الجداول والخمائل**] فلن تجد المطالع الفخمة التي تذكرك بالمعلقات أو بلاميّتيْ العرب والعجم عن أفكار جديدة هي وليدة البيئةٍ التي عاشها زملاؤه أعضاء الرابطة القلمية [1].

ميزات شعره :-

تظهر في شعر أبي ماضي قوة الحياة متدفقة العاطفة، فيشعر الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وعلى تباعد أوطانهم أنّهم يرون فيه صورة عن نفسهم، وعن نوازعهم وآمالهم وتفكيرهم .

وأول ما يلفت النظر هو أن أبا ماضي يسير في شعره نحو أهداف تنبع من صميم المجتمع وتستمد قوتها وعمقها من صدق صاحبها وإخلاصه، ومن اتصال وشغف شديدين بالطبيعة بحيث يأخذ مواضيعه وأمثلته من نباتها وجمادها، من أشواكها وورودها، من مائها وسمائها، ومن حيوانها وطيرها [2].

ويصطبغ شعره بالصبغة الفلسفية، فهو يحب الحياة ويحبّب الأحياء فيها ويصوّرها لهم نقية حلوة يستهدف سعادة المجتمع [3].

أما أسلوبه الشعري فهو صافٍ رقراق كنفسه نقرأه بثغور مشرقة وقلوب يغمرها الحب والأمل، هو أسلوب البساطة والوضوح الذي يحمل أبعد معاني الحياة في أعماقه، والذي يزود شعره بعناصر الحيوية والتأثير هو أن شعره ينبع من قلبه ولعل أبرز ما يقرّب هذا الشعر إلى النفوس نواحٍ ثلاث : النزعة الإنسانية ، والدعوة إلى محبة الحياة ، واستلهام الطبيعة[4].

فشعره يهزُّ النُّفوس ويطربها، ويُعَدُّ أبو ماضي من الرُّواد الَّذين فتحوا صدر الشِّعر لغير الغنائيَّة الذَّاتية فزرعوا فيه موضوعات شعرية جديدة تتناول الإنسان في صور شتَّى، تتناوله فكرة وجوهرًا، نفسًا وعقلًا، ويعدّ أبو ماضي ـــ الشَّاعر الإنساني ــ واحدًا من القلائل الَّذين كان لهم شرف المحاولة في تطويع الشِّعر العربي لأغراض الإنسانية الكبيرة [5].

إيليا أبو ماضي في مصر بين الشعر والتجارة : بدأ قرض الشعر في سن مبكرة، عندما كان في مصر، حيث كان ذلك في عام 1902م، وهذا يدل على تمتعه بعبقرية مبكرة عاشت في ذهنه، حيث كان يجيد النظم في الحادية عشرة من عمره، ويثبت ديوانه الأول أنه نظم قصيدة من بحر الوافر مطلعها :-

مَضَى عَامٌ عليَّ بِأَرْضِ مِصْرَ وَذَا عَامٌ وَسَوْفَ يَجِيءُ عَامُ[6]

وفي هذا التصريح إعلام بأنه قد قال هذه القصيدة وقد مضى عام واحد على إقامته في مصر، وما كاد يتلمس طريقه في الحياة حتى ألحت عليه حاجتان: حاجة الجسد وحاجة الروح، وإذا كان العمل ببيع التبغ قد لبىّ الحاجة الأولى فإنه كان يشعر بالعطش الأبدي للعلم والثقافة لمطالعة وتقوية مواهبه، فإذا به يدرس ويعمل ويستغرق ذلك منه ثماني سنوات يقرض الشعر ويجمعه في ديوانه " تذكار الماضي " [7].

[1]ــ الفاخوري حنَّا ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه، ، ص 655.
[2]ــ المصدر نفسه، ينظر ص 657.
[3]ــ المصدر نفسه، ينظر ص 657.
[4] ــ المصدر نفسه، ينظر ص657.
[5] ــ المصدر نفسه، ينظر ص659.
[6] ــ ميرزا زهير، ديوان إيليا أبو ماضي، ط دار العودة، ص20.
[7] ــ المعوش سالم إيليا أبو ماضي بين الشّرق و الغرب ، ينظر ص 13.

ولقد تفتحت شاعريته منذ عهد مبكر، فقد كانت تجربته تتعاظم يوماً بعد يوم، فإيليا صنيع نفسه يتابع قضايا العلم والثقافة من دون أي موجّه إلا ما يخدم ملكاته ويبلور وعيه، ولم يكن دكان التبغ للبيع فقط، بل كان لنظم الشعر أيضاً، وكثيراً ما لاحظه عارفوه مُنْكَبًّا على الكتابة هائماً في فلواته الخاصة يبحث عن الكلمة أو العبارة يؤدي بها معنى أراده، ويكمل بيتاً مستعصياً عليه، وقد أكد جبران خليل جبران على تفتح شاعريته المبكرة حين قال عن أبي ماضي بأنه :" مخلوق غريب ذو عين ثالثة معنوية ترى في الطبيعة ما لا تراه العيون، وأذن باطنية تسمع من همس الأيام والليالي مالا تعيه الآذان" [1].

نشأة الأدب المهجري

(الهجرة - بداية الهجرة - أسباب الهجرة ودوافعها)

الهجرة :

ه ج ر:الهَجْرُ ضد الوصل هَجَره يَهْجُرُه هَجْراً وهِجْراناً صَرَمَه وهما يَهْتَجِرانِ ويَتَهاجَرانِ والاسم الهِجْرَةُ [2].

إنَّ الهجرة من الأمور المعروفة منذ سابق الأزمنة، معروفة لدى الطُّيور والحيوانات والأسماك، إلى جانب هجرة الإنسان، والتَّاريخ يروي لنا قصصًا كثيرة عن هجرات فردية و أخرى جماعية، فإنَّ الكائن سواء أكان إنسانًا أم حيوانًا يميل إلى ترك أرضه وهجر موطنه عندما يشعر بصعوبة العيش و التَّواؤم مع البيئة الَّتي يعيش فيها[3].

بداية الهجرة :

هاجرت جماعات من العرب، وبخاصَّة من سوريا ولبنان في النَّصف الثَّاني من القرن التَّاسع عشر، وبالتَّحديد بعد مذابح الستِّين، إذ كانت هذه السَّنة من أشأم السّنوات على الوطن العربي، فقد حرمته كثيرًا من شبابه عن طريق القتل أو التَّشريد أو المهاجرة[4].

اتَّجهت الهجرة أولًا من بلاد الشَّام نحو مصر و أمريكا الشَّمالية، ثمَّ عرجت بعد ذلك على أمريكا الجنوبية بعد أن فُرِضت عليها بعض القيود في أمريكا الشّمالية، و قد بدأت المهاجرة تدريجيًا، فلم يهاجر من البلدة الواحدة سوى نفر قليل، وهؤلاء بعد وصولهم كانوا يشجّعون ذوي قرابتهم وأصحابهم على المهاجرة، فأخذت دائرتها تتّسع تدريجيًا[5].

أسباب الهجرة و دوافعها :

للهجرة عوامل كثيرة كانت سببًا للقيام بها، ومن هذه العوامل:

أولًا : العامل السِّياسي ، فقد كانت سوريا و لبنان خاضعتين في القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين للحكم العثماني الفردي الجائر، الَّذي تُضطَهد فيه الحريَّات وتُوأَدُ فيه الكرامات وتُسَاقُ النَّاس إلى السُّجون والمعتقلات والمشانق لأوهى الأسباب، وأتفه الوشايات، فأخذ النّاس يهاجرون إلى مصر و شمال أفريقيا، ولكن هذه البلاد كان النفوذ العثماني فيها سائدًا، والاستعمار يتغلغل في ربوعها؛ و من ثمّ

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص 31.
[2] ـ ابن منظور، لسان العرب ، الدّار العربية للكتاب، ص 629.
[3] ـ قطامي سمير بدوان، إلياس فرحات شاعر العرب في المهجر، مكتب الدّراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، ينظر ص 59، 58.
[4] ـ قطامي سمير بدوان، إلياس فرحات شاعر العرب في المهجر، ينظر ص 59.
[5] ـ المصدر نفسه، ينظر ص 60.

أخذ المهاجرون يتّجهون صوب العالم الجديد، نشدانًا للحرية، وطلبًا لها، وفرارًا من الظلم والجور والطّغيان السياسي[1].

ثانيًا : العامل الاقتصادي في ربوع سوريا ولبنان آنذاك، حيث الفقر والشقاء وإهمال الزراعة والصناعة وشتّى مرافق الحياة، وحيث الجوع والحرمان هما مصير الكثير من السكان، لذلك أقبل الناس على الهجرة إلى العالم الجديد يطلبون الحياة الكريمة ، ويطلبون معها الغنى والثراء والمال ، مما أغراهم بطلبها فيها أوائلهم وأقاربهم من المغتربين[2].

ثالثًا : إنَّ مدارس التبشير قد نشرت في النَّاس نوعًا من الوعي بالحضارة الغربية، وحملت إليهم ريحًا من الثَّورة الفرنسية، وتركت في النَّاس طموحًا معيّنًا إلى التَّحرر من آثار الفقر، ومن ربقة التّقاليد، فقد كانت هذه المدارس تلقّن تلاميذها نوعًا من الولاء لدولة خارج حدود الوطن، فالمدارس الّتي تنشئها الإرساليات الرّوسية تلقّنهم حب روسيا و قيصرها على سبيل المثال، و كذلك كانت مدارس الإرساليات الأخرى[3].

رابعًا : البواعث التّاريخية القديمة، فإنّ السوريين واللبنانيين عُرفوا منذ القدم بالهجرة وحب السعي في الأرض والاغتراب وركوب البحار وحياة العمل والتجارة، وهما من سلالة الفينيقيين القدماء الذين ركبوا البحار، وجابوا البلاد، واشتغلوا بالتجارة، وأنشأوا لهم المستعمرات على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في شمال أفريقيا، وقرطاجة في تونس حديثها مشهور، وتاريخها وتاريخ نشاطها التجاري معروف، ولا يضير السوري واللبناني أن يهاجر إلى أي مكان يستطيع أن يجد فيه اليسر والرخاء والاطمئنان الحيوي والأمن على النَّفس والمال؛ لأنّ حب الهجرة والاغتراب، وحب السعي في الأرض، وحب التجارة والعمل من أجل الحياة، كلها كالغرائز المتأصلة في نفسه وفي مسارب دمه .

خامسًا : رغبة بعض المهاجرين الَّذين هاجروا إلى أمريكا الشَّمالية أو اللّاتينية في حياة جديدة غير تلك الَّتي يحياها في الشَّرق، أو شغفًا بما يسمع عن مظاهر الحضارة أو طموحا و رغبة في إدراك فرص جديدة أكثر من الفرص المتاحة له في بلاده[4].

أنشأ أولئك المهاجرون في تلك الدّيار النائية أدبًا يعبّرون فيه عن مشاعرهم و عواطفهم، ويتحدَّثون فيه عن غربتهم و حنينهم إلى أوطانهم، و يصفون فيه البلاد الّتي أقاموا فيها، ومظاهر الحضارة السَّائدة في حياة النَّاس هناك، كما يصفون فيه حياتهم وما تعرضوا له من عناء و شقاء و تجارب مريرة، و كان أدبهم هذا هو الأدب المهجري، الّذي أصبح مدرسة أدبية كبرى، بين مدارس الأدب الحديث ومذاهبه، وعنى به الأدباء والنُّقاد، وكتب حوله أعلامه البحوث و الدّراسات[5]، " فقد كان أدباء المهجر بركة على الأدب العربي بعد عهد مديد من الجمود فقد دفقوا في شرايينه الدّم الحار.... فإذا هو اليوم مدين بكثير من عناصر جدَّته و نضارته إلى تلك الفئة النَّازحة الّتي شادت في تلك الرُّبوع القصيَّة دولة أدبية باذخة و لئن عاش أدب المهجر في أقصى المعمورة إلا أنّه كان كالشَّمس يضيء أنى كان و يعم سناه العرب أجمعين".[6]

---

[1] ــ خفاجي محمد عبد المنعم ، قصَّة الأدب المهجري ، دار الكتاب الّلبناني، بيروت، ينظر ص 13.

[2]ــ المصدر نفسه ، ينظر ص14,15.

[3]ــ داود أنس ، التّجديد في شعر المهجر ، المنشأة الشّعبية للنَّشر و التَّوزيع و الإعلان، الطبعة الثانية، ينظر ص 50–51.

[4] ــ خفاجي محمد عبد المنعم ، قصَّة الأدب المهجري، ، ينظر ص 16.

[5] ــ المصدر نفسه، ينظر ص1.

[6]ــ الدَّقاق عمر ، شعراء العصبة الأندلسية في المهجر، دار المشرق، الطبعة الثَّانية، ص 11،12.

مفهوم الشَّوق و الحني

ش.و.ق: الشَّوْقُ والاشْتياقُ نِزاعُ النفس إلى الشيء والجمع أَشْواقٌ شاقَ إليه شَوْقاً وتَشَوَّق واشتاقَ اشْتياقاً والشَّوْقُ حركة الهوى والشُّوق العُشّاق [1].

الحنين: ح.ن.ن: الحنينُ: الشَّوقُ و شدّةُ البكاء و الطَّرَبُ، حنَّ يحنُّ حنينًا :استطربَ، والحانَّة: المرأة التي كان لها زوجٌ قبل فتذكره بالحنين والحزن والحَنَانُ: الرَّحمةُ، ورقّةُ القلبِ، الحنَّانُ: من يحِنُّ إلى الشَّيء، واسم الله تعالى، ومعناه الرَّحيمُ، أو الَّذي يقبل على من أعرض عنه، والحنُّ: الإشفاق[2].

يقال: حنَّ يحِنُّ حنينًا إذا اشتاق ،وحنَّت النَّاقة إذا نزعت إلى وطنها أو ولدها وكذلك البعير إلى وطنه[3].

والحنان كسحاب الرَّحمة والعطف، وأيضًا الوقار ورقَّة القلب، وهو يعني الرَّحمة، ولمَّا كان الحنين متضمنًّا للاشتياق، والاشتياق لا ينفكُّ عن الرَّحمة فإنَّنا حين نقول: حنَّ إلى وطنه و حنَّ عليه حنانًا فذلك يعني معنى التَّرحُّم[4].

و للحنين دوافع عدّة: فهناك دافع الحب، فالبعيد عن وطنه غالبًا ما يشعر بدافع وجداني قوي يدفعه للحنين إلى من يحبّ، سواء كان ذلك يتمثّل في حبيبة قلبه، أم أهله، أم كل ما يربطه بهذا الوطن، ثُمَّ هناك ذكريات الطّفولة و الصِّبا ،فالإنسان مهما كان يحنُّ بطبيعته إلى المكان الَّذي أبصر فيه النُّور، و نشأة فيه ذكريات الأولى، " فالحنين إلى الأوطان طبيعة في النَّفس البشرية، ولم يقتصر الحنين على البشر بل يشمل الحيوان ، فالإبل تحنُّ إلى أولادها و مرابطها"[5].

ارتبط الحنين إلى الأوطان بكرامة الإنسان واعتزازه، وكانت الغربة عن الوطن همًّا شديدًا، ويروى أنَّه قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان، وقيل: فما الذُّل؟ قال: التَّنقُّل في البلدان والتَّنحّي عن الأوطان[6].

وكثر ذكر الحنين إلى الأوطان في التراث الإسلامي، فقد كان الرَّسول-صلَّى الله عليه وسلِّم-محبًّا لوطنه كثير الحنين إليه، فإذا ذُكِرَ الوطن اغرورقت عيناه بالدُّموع شوقًا وحنينًا، وكان يكره خروجه من مكَّة مضطَّرًا، ويذكرها مُحبًّا، يقول في خروجه من مكَّة مهاجرًا:" والله إنّك لخير أرض الله إلى الله ، ولولا أنِّي أُخرجتُ منك ما خرجت"[7].

فحين نستمع إلى مطالع القصائد الجاهلية أو حين نقرأ شعرًا عربيًّا عن الوطن في التراث سنجد فيه لوعة الفقد، ونحس أنّة الاغتراب، الاغتراب عن مراتع الصِّبا، والفقد لكل مباهج الطّفولة ومناعم الشَّباب " فنحن نجده منذ العصر الجاهلي إذ كانت تدور حياة العرب على الرّحلة من كلأ إلى كلأ ،ثُمَّ جاء الإسلام وخرجوا من جزيرتهم مجاهدين في سبيل الله، فبكوا ديارهم و نعوا غربتهم و أنفسهم"[8].

إذا كان هذا اللَّون قد وجد في تراثنا على هذا النّحو فما هو الجديد في شعر الحنين إلى الوطن بالمهجر ؟

(1)ــ ابن منظور ، لسان العرب، ، مادة شوق ، ص 344.

(2) ــ ابن منظور ، لسان العرب، مادة حنن، ج 1 ص128.

(3)ــ أبو جمعة بو بعيو ، موازنة بين شعراء المهجر الشَّمالي و جماعة أبولو، منشورات جامعة قريونس، ص 217.

(4)ــ الزّمخشري، أساس البلاغة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الأوّل، الطَّبعة الثَّالثة، ينظر ص 203.

(5) ــ حور محمد ، الحنين إلى الوطن في الأدب العربي، ب .ط ، ص 68.

(6)ــ الجبُوري يحيى ، الحنين و الغربة في الشِّعر العربي، دار مجدلاوي، الطَّبعة الأولى 1428ه،2008،، ينظر ص9,10.

(7) ــ ابن حنبل أحمد، مسند،4ــ 305، سنن الترمذي3925، أخبار مكَّة للأزرقي،2/ 155.

(8) ــ داوود أنس، التَّجديد في شعر المهجر، ، ينظر ص172.

لقد محا أحد الباحثين كلّ فرق بين شعرنا الموروث في الحنين إلى الوطن و شعر الحنين المهجري، حين قال: إن شعراء المهجر في هذا الشّعر" إنّما يعبّرون عن روح عربية أصيلة، وهل حياة العرب كلّها إلَّا حنين و ذكرى، و هل هم منذ كانوا إلَّا رحَّل ....رحلوا في باديتهم أثناء العصر الجاهلي من عشب إلى عشب، و رحلوا في مشارق الأرض ومغاربها في أثناء العصور الإسلامية من بلد إلى بلد، و دائمًا في حقائبهم ذكرى ملاعبهم الأولى، ومدارج شبابهم، وما بكاء الأطلال والدِّيار إلَّا الصُّورة الثانية لهذا الحنين الَّذي نما معهم على مرِّ الزَّمن و اختلاف المنازل و الأمكنة[1]".

ولكنَّنا نرى أنَّ هناك تجديدًا في شعر الحنين بالمهجر، وليس ذلك أنَّه أصبح فصلًا ضخمًا في ديوان الشِّعر العربي فحسب، وأنَّ ما قاله شعراء المهجر في نصف جيل يفوق كلَّ ما قيل من هذا الشِّعر في تراثنا، ولا أنَّه تَفَوُّقُ شعراء المهجر الواضح على شعراء التُّراث في تصوير عواطف الحنين، ومناعم الطُّفولة وجمال الموطن النَّازحين منه، ومشاعر المحبَّة له و الهيام به، بل إنَّ الفرق الجوهري في نوع الغربة الّتي أحسَّ بها كلٌّ من الشعرين؛ لأنَّ الشِّعر القديم يصوِّر الغربة المكانية بينما يصوِّر شعر المهجر الغربة النَّفسية الحائرة اللَّاذعة، وفي مثل هذه الغربة يبدو الحنين إلى الطُّفولة حنينًا إلى ميلاد جديد بالعالم، فتبدوا مناعم الطُّفولة في شعر التُّراث أشياء بسيطة بريئة حقيقيَّة، تبدوا في شعر المهجر أشياء رمزيَّة تخفي وراءها أو تحمل في طيَّاتها الإيماء إلى أشياء أعمق وأهم، فبينما كان الشَّاعر العربي يعيش حياته، ويلتحم مع مجتمعه، ينهل موارده ثُمَّ يحنُّ لحظة إلى وطنه الَّذي فارقه، كان الشَّاعر في المهجر يعيش اغترابه، ويقتات بمشاعر الحنين إلى وطنه، فالغربة قدره ومأساته و هي لذلك كلُّ حياته و كلَّ شعره، ففتّش الشَّاعر عن أمنه ـــ أمنه الذَّاتي ـــ ، في الطَّبيعة، في الحب، في الإقبال على الحياة، في النُّكوص عنها، في البكاء على مأساته، في اكتشاف ذاته وطاقاته النَّفسية، في الثَّورة على الاستعمار، في الدَّعوة إلى كيان عربي موَّحد، في خدمة المجتمع والتَّعاطف مع النَّاس، في النُّفور من المستغلِّين، في كلِّ جوانب شعر المهجر، فقد كان الشَّاعر دائم البحث عن مرفأ أمين بعد أن انتزعته أمواج البحار من موطنه الصَّغير الجميل الَّذي كان يجد فيه نفسه، ويجد فيه القيم المتوارثة ثابتة لا يقربها ريب من أحد، ولكنَّه حين اغترب أصبحت القيم البسيطة الّتي تلقَاها في قرى لبنان قيمًا يَعْتَوِرُها الشَّك، وتتلاعب بها أمواج المحيط، وأصبح كلُّ شيء ضدَّ وجوده، الحضارة الغربية المادِّية، الأطماع الاستعمارية المغيرة على وطنه، فأصبح في مهبِّ الرِّيح يبحث عن مستقر[2]، لذلك كان" الحنين إلى الوطن قوّة سارية في الشِّعر المهجري...ترتكز على معنى الغربة حقيقة ومجازًا، والغربة هي المحرِّك الأكبر في أشعارهم جميعًا" [3].

الشَّوق و الحنين في الشِّعر المهجري:

حين ارتحل العديد من أبناء الشَّام إلى الأمريكيتين الشَّمالية و الجنوبية عن وطنهم مرغمين ـــ في أغلب الحالات ـــ ترك هذا الرَّحيل ندوبًا في قلوبهم ومشاعرهم، وخلق لهم آلامًا ومعاناة مستمرّة، إذ تركوا الأرض الَّتي نشأوا فوقها، وفارقوا الأهل والأحبَّة إلى عالم جديد، وانتقلوا إلى حياة تختلف كلَّ الاختلاف عمَّا ألفوه في أوطانهم الَّتي تركوها وراءهم، حيث كانت حياتهم تهدّدها السذَّاجة والقناعة والرَّوحانيات، وإن كان يلفُّها الذُّل والجوع والخوف؛ تركوها تَئِنُّ تحت وطأة الظلم والتَّعسُّف وقلَّة المال وفساد الأحوال، ممَّا جعل قلوبهم معلَّقة بها، تريد الاطمئنان على حالها و حال من فيها من الأهل والأصحاب [4].

[1] ــ ضيف شوقي ، دراسات في الشِّعر العربي المعاصر، دار المعارف، الطَّبعة السَّابعة، ص 172.
[2] ــ داود أنس، التَّجديد في شعر المهجر|، ينظرص 172,173,175,176.
[3] ــ عبَّاس إحسان، محمد يوسف نجم، الشِّعر العربي في المهجر، ط دار المعارف، الطبعة الأولى، ينظر ص 129.
[4] ــ العصمي أمين ، الغربة والحنين في الشِعر الفلسطيني بعد المأساة، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، ينظر ص177.

إنَّ مجرَّد الخروج من دار إلى أخرى يثير في النَّفس الشّجن، فما باله إذا انتقل من بلاد إلى أخرى مرغمًا، و قد لا يستطيع العودة إليها ثانية؟ ألا يثير ذلك في النَّفس الحنين و التِّذكار؟ ويبعث في النَّفس لواعج الشَّوق؟ ويثير فيها الحزن والأسى على تلك الدِّيار ومن فيها ؟ فهو أمر طبيعي في حال أولئك المغتربين [1].

اصطدم هؤلاء المهاجرون بمرارة الحياة ومادِّيتها، وقسوة البيئة الجديدة الَّتي كانوا يتصوَّرونها جنَّات وكنوزًا، فتعرَّضوا لضروب الشَّقاء، وأخذوا يحاولون التَّخفيف عن أنفسهم وتلطيف جوى قلوبهم، باسترجاع ذكرياتهم و أيَّامهم في أرض الوطن، حيث الأم الحنونة والأب الطَّيب، والعائلة المتوائمة المجتمعة، والجلسات الحلوة، وحيث ذكريات الطُّفولة العابثة، و النَّزهات والرِّحلات...إلخ[2].

كلّ هذه كانت متنفِّسًا لآلامهم ومشاكلهم، فقد شعر هؤلاء بالغربة والضَّياع والفراغ، فلا ارتباط بهذه البيئة الجديدة، ولا انتماء لهذه البلاد الغريبة، فأخذوا يحنّون متلهفين إلى مرابع صباهم ومغاني أنسهم وهواهم، فكان حنينهم هذا راحة نفسية، من خلال شعورهم بالقلق والضَّجر، وارتباطًا بشيء ما من خلال ضياعهم و حاجتهم للتفيؤ والانتماء، والحقيقة أنَّ للإنسان طاقة معيَّنة على الاحتمال، فإذا زادت الأعباء والهموم على هذه الطَّاقة وعجز الإنسان عن احتمالها، أصيب بانهيار عصبي واضطراب نفسي؛ ولكنَّ الإنسان بطريقة شعورية أو لا شعورية يحاول التَّخفيف من هذه المتاعب، إما عن طريق أحلام اليقظة، أوعن طريق استرجاع أوقات هانئة لذيذة مرَّت به، أو غيرها من الطُّرق، وذلك حتَّى يخلق لنفسه عالمًا آخر غير العالم القاسي الَّذي يعيش فيه، وحياة هانئة يريح بها نفسه من دوّامة المتاعب الَّتي تواجهه[3].

عانى شعراء المهجر من الغربة الَّتي كانت قوَّة خلَّاقة في الشِّعر المهجري لأنَّها الَّتي أوحت إلى المهاجر ـــ مع الحزن واللَّوعة ـــ شعورًا بالتأليه لعالم الطَّبيعة الجميل، كما يمثِّله الوطن الحقيقي الّذي هو غابٌ جميل إذا قيس بصخب المدينة و ضجيجها في بلاد الغرب، وشعوراً بجمال الطُّفولة، وهي العهد الجميل الَّذي قضاه الشّاعر في وطنه قبل أن يسافر، وشعورًا أعمق يصوِّر الوطنَ نفسَه عالَمًا بعيدًا يمتلئ بالسَّعادة والرِّضى والنّور، فالشَّاعر الرُّومانسي قد ينمِّي في نفسه الشُّعور بالحاجة إلى الغاب أو الطُّفولة تنمية خيالية، أمَّا المهجريون فلم يكونوا في حاجة إلى تغذية مشاعرهم بروافد من الخيال، لأنَّهم يجسِّدون مادَّتهم من حقيقة واقعهم[4].

يمتلئ الشِّعر المهجري بعاطفة المغتربين نحو وطنهم وحنينهم الدّائم للعودة إليه، ففي نفس كلِّ شاعر مهجري حنين لا ينقطع و شوقٌ لا ينفد[5].

و حتَّى أولئك الَّذين أقصَتهم عن الوطن سياط الألم، وقسوة الزَّمان، ودفعت بهم ظلمة اليأس والبؤس إلى أرض سخيَّة العطاء، حتَى أولئك الَّذين استبدلوا عبودية بحريَّة، وفقرًا بغنى، وشقاء بسعادة، وضيقًا بسعة، عمَّرت الذِّكريات قلوبهم و أفئدتهم[6].

شعراء المهجر كم تأجَّجت في صدورهم نار الحبّ لأوطانهم ، ولعروبتهم، وكم نظَموا الشِّعر في الوطنية و الوطن، و لعلَّ من أبرز ميزات الشِّعر المهجري أنَّ الشَّاعر يعبِّر عن إحساس قومه ومشاعرهم، مثلما يعبِّر عن إحساس نفسه ومشاعرها، وأنَّ الأحداث الَّتي تمر في وطنه الأم تترك صداها العميق في قلبه وشعره معًا، " وما سقطت دمعة من مواطن عربي، في الوطن الأم، إلَّا وسالت

---

[1]ـ المصدر نفسه، ينظر ص179.

[2] ـ قطامي سمير ، إلياس فرحات شاعر العرب في المهجر، ، ينظر ص190.

[1] ـ فرحات إلياس شاعر العرب في المهجر، ، ينظر ص190.

[4] ـ عبَّاس إحسان ، يوسف نجم، الشِّعر العربي في المهجر، دار صادر بيروت، ، الطَّبعة الثَّانية ، ينظر ص 118.

[5] ـ خفاجى قصَّة الأدب المهجري، ينظر ص 331.

[6]ـ المصدر نفسه، ينظر ص331 .

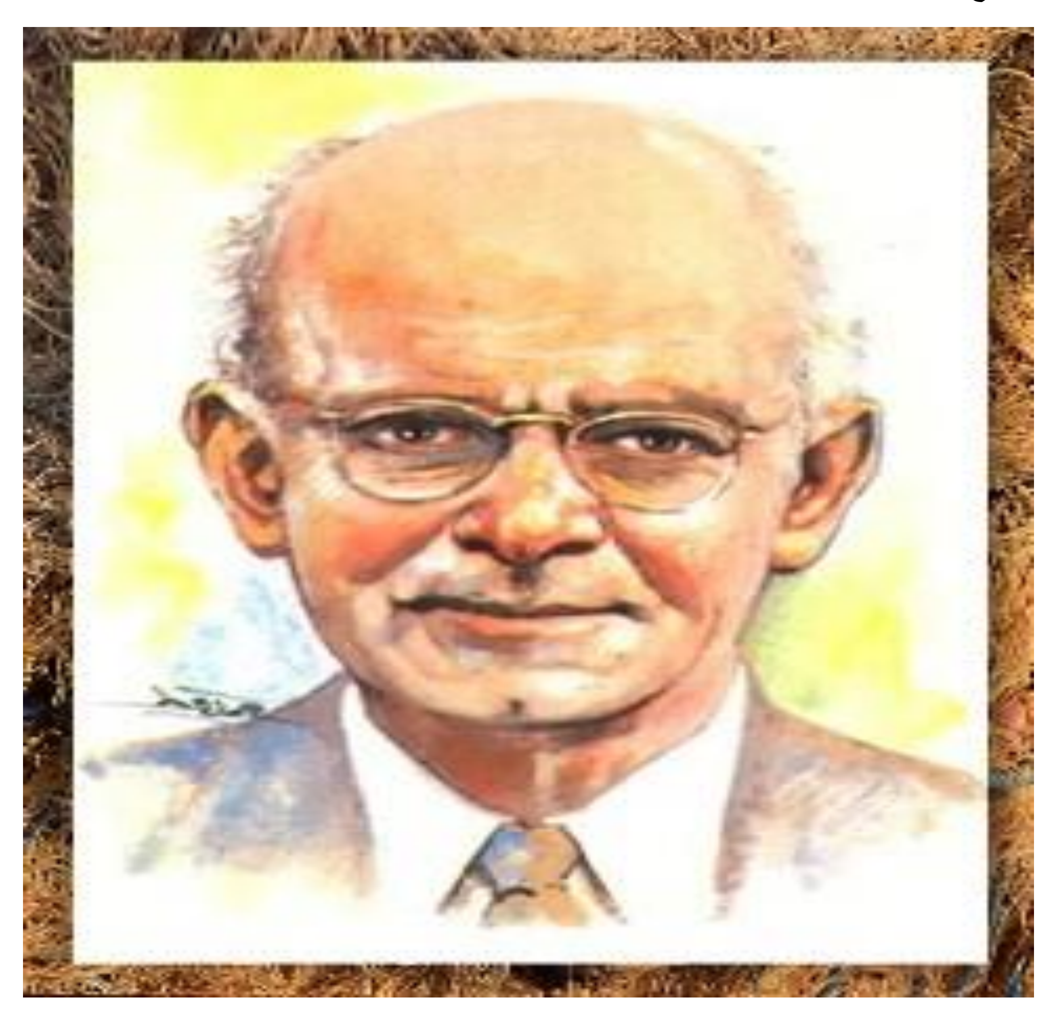
أغنية حزينة في مقطوعة شعريَّة لشاعر مهجري، وما زفر وتأوَّه حزين في المشرق العربي إلَّا وكان لآهته وزفرته صدى عميق مؤثَّر في الشِعر المهجري"[1].

فقد كان الحنين في الشِّعر المهجري صادقًا مؤثِّرًا قادرًا على التَّعبير عن عواطف ومشاعر أصحابه الَّذين صاغوه ليحمل أحزانهم وآلامهم الَّتي تنوء بها نفوسهم المعذَّبة بالغربة، وقلوبهم الَّتي قاست كثيرًا من الشَّقاء والهوان، لذا فإنَّ قصائد الحنين في أشعارهم لا تحصى [2].

[1]ــ المصدر نفسه، ص341 .
[2] ــ العمصي أمين، الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة، ، ينظر ص 196.

المبحـث الثانــي

- **إيليا ورحــلة الشَّوق و الحنين**
- **نمــاذج من شعره.**



سنذكر في هذا المبحث الشّعر الذي يظهر فيه حنين الشّاعر وشوقه إلى مدارج طفولته وأرض وطنه، وإلى ذويه وأترابه وأحبابه، وهو الشّعر الذي تغنّى فيه بمسقط رأسه أو ببلاده عامّة، تغنّيًا عاطفيًّا يشيد فيه بجمال طبيعته، ويظهر علاقته الروحية بساكنيه، مستعيدًا أيّام طفولته وصباه وما فيها من ذكريات حلوة .

ذهبنا في المبحث الأوّل إلى ذكر أسباب هجرة الشّاعر عن بلده لبنان، وتحدّثنا عن إقامته القليلة بمصر ثمّ رحلنا مع الشَّاعر إلى أمريكا لنرى معه لونًا من شوقه إلى وطنه الأول لبنان، ثمّ إلى وطنه الثّاني مصر؛ إذ ما تكاد تتقادم به الأيّام وهو في مغتربه حتّى تهيجه الذّكريات إلى وطنه، فيحنّ إليه حنينًا صامتًا حينًا، ثائرًا أحيانًا، وأصبح يرى حياته في أمريكا جحيمًا لا يكاد يطاق[1]:

نَأَى عَنْ أَرْضِ مِصْرَ حَذَارَ ضَيْمٍ   فَفَرَّ مِنَ الْعَذَابِ إِلَى الْعَذَابِ

حتّى إذا رأى باخرة متّجهة إلى بلده حمّلها سلامًا وتشوّقًا وحنينًا ونداءً حارًّا فيه عاطفة وصدق وفاء :

بَيْرُوتُ يَا بِنْتَ الْبِحَارِ الْجَارِيَةْ   فَإِذَا سُئِلْتِ مِنْ البَقَايَا البَاقِيَةْ

---

[1]ـ أبو ماضي إيليا، ديوان إيليا أبو ماضي ، ، ينظر ص65.

قُولِي لَهُمْ: إنَّ الحَيَاةَ الهَانِيَة   لَمْ تَنْسَنَا سُكَّانَ تِلْكَ النَّاحِيَه

أمّا الدّليل فحَسْبنا إيّاكِ[1]

و تعتاده عاديات الذكرى فيشعر بالغربة الرّوحية العنيفة، ويتأمل النّجم فيراه غريبًا مثله، قلقًا لقلقه :

مَا لِهَذَا النّجْمِ مِثْلِي فِي الثّرَى   طَائِرُ النَوْمِ شَدِيدِ الوَجَلِ[2]

أَتَرَاهُ يتَّقِي طَارِئَةً   أَمْ بِهِ أَنِّي غَرِيبُ المَنْزِلِ [3]

ومن خلال دموعه وآلامه يتلفت إلى الشّرق، ويجهش جهشة الحنين، ويهتز اهتزاز المشوق، ويحبّ من يحبّ وطنه[4]:

إذَا خطَرَتْ مِنْ جَانِبِ الشّرْقِ نَفْحَةٌ ** طَرِبْتُ فَأَلْقَى مَنْكِبَايَ رِدَائِيَا

أَحِنُّ إِلَى تِلْكَ المَغَانِي وَأَهْلِهَا   وَأَشْتَاقُ مَنْ يَشْتَاقُ تِلْكَ المَغانِيَا[5]

إذَا مَثَّلُوا وَالنَّوْمُ يَأْخُذُ مُقْلَتِي [6]*** بِأَهْدَابِهَا أَمْسَيْتُ وَسْنَانَ[7]صَاحِيَا

وَكَيْفَ اغْتِبَاطُ المَرْءِ لاَ الأَهْلُ حَوْلَه *** وَلاَ هُوَ مَنْ يَسْتَعْذِبُ الصَّفْوَ نَائِيَا[8]

يقول إيليا في قصيدته { يا جارتي} :

قالت لجارتها يومًا تسائلها *** عنِّي، وفي طرفها الوَسنانِ أشجانُ

ما بالُ هذا الفتى في الدَّار معتزلًا *** كما توحَّد نسَّاكُ [9]ورهبانُ

يأتي المساءُ عليه وهو مكتئب *** وللحديث مجال، وهو ملسانُ[10]

وإن نكلِّمهُ لا يفقه مقالتنا *** إلَّا كما يفقهُ التَّسبيحَ سكرانُ

إذا تبسَّم، لا تبدو نواجذُه[11]*** وإن بكى ، فله نزع[12] وإرنان[13]

كأنّما نيطت الدُّنيا بعاتقه *** كأنَّما كلُّ عضوٍ فيها بركانُ

فلا ابتسامُ ذوات الغنج يطربه *** ولا ابنة الحان تصيبه ولا الحانُ

أما له أملٌ حلوٌ يلذُّ به *** كما تلذُّ بمرأى النُّور أجفانُ

---

[1]ـ المصدر نفسه ، ص 65.
[2] ـ الوجل : الخوف، الرازي، مختار القاموس، ص 650 .
[3] ـ أبو ماضي إيليا ، ديوان إيليا أبو ماضي ، ص 66.
[4] ـ المصدر نفسه، ينظر، ص66.
[5] ـ المغنى: المنزل الذي غنى به أهله، مختار القاموس، ص 463.
[6] ـ المقلة :شحمة العين الّتي تجمع السَّواد والبياض ، انظر الرازي، مختار القاموس، ص 580.
[7]ـ المصدر نفسه ، الوسن : شدّة النّوم أو أوّله أو النّعاس ، ص 658.
[8]ـ أبو ماضي إيليا، ديوان إيليا أبو ماضي، ، ص66.
[9] ـ نسّاك من النَّسكُ: العبادة وكلُّ حقٍّ لله تعالى، انظر الرازي، مختار القاموس ص 603.
[10] ـ المصدر نفسه ، ملسان الِّسان :المتكلِّم عن القوم ، ص550.
[11]ـ المصدر نفسه ، نواجذه من ن ج ذ : النّواجذ :أقصى الأضراس و هي أربعة ،أو هي الأضراس كلّها ، ص593.
[12] ـ المصدر نفسه، نزع من ن ز ع:نزع إلى أهله نزاعةً: إشتاق، ص 600.
[13]ـ المصدر نفسه، إرنان من ر ن ن:الرَّنة :الصَّوت. رنَّ يرنُّ رنينًا: صاح، ص263.

أما له جِيرة في الأرض يألفُهم *** يا جارتي، كان لي أهل وجيرانُ

فبتَّتِ الحربُ ما بيني و بينهم *** كما تقطَّع أمراس[1]وخيطانُ

فاليومَ كلّ الّذي في مهجتي ألم *** وكلُّ ما حولهم بؤس وأحزانُ

و كان لي أمل إذا كان لي وطن *** فيه لنفسي لبانات[(2)]وخلّانُ

فجرَّدتهُ اللَّيالي من محاسنهِ *** كما يُعَرَّى من الأشجار بستانُ

فلا المغاني التي أَشْتَاقُ رؤيتها *** تلكَ المغاني، ولا السُّكان سكَّانُ[(3)]

وإنّك لتجد في هذه القصيدة الرَّائعة صورًا من ألوان التَّشوّق والحنين، ولونًا من الشّعور العميق بالغربة، فقد دقَّت الحرب في العالم طبلها، وأعلنت إلى الملأ الأدنى والأقصى أمرها، فاضطرب الأمن وانتحر الرَّجاء، وغاض الأمل، فإذا العالم القريب شتيت، وإذا العالم البعيد كأنه وهم من الأوهام؛ فما عدت تسمع من صوت الإنسان إلَّا عواؤه، ولا من غناء الأطيار إلا جفاؤه، ضاع صوت الإنسان في قصف المدافع، وولولة النِّساء الأرامل وعويل الأطفال وجئير البطن الجائع، وانقطع العالم عن العالم، فانقطعت بذاك أخبار المهاجرين عن أهاليهم، وانقطعت أخبار أهليهم عنهم، فاستعرّ الحنين، واصطدم الشَّوق وقلق الخاطر بين الشّك واليقين فتفجَّرت ينابيع العواطف[(4)]فنسمع الشَّاعر في هذه القصيدة يقول:

يا ليتَ شعري، وهذي الحربُ قائمةٌ   هل تنجلي ولنا في الشَّام إخوانُ

وهل تعودُ إلى لبنانَ بهجتهُ   وهل أعودُ، وفي لبنانِ نيسانُ[(5)]

يقول إيليا :

وكانَ لَنَا في الكُتْبِ عَوْنٌ عَلَى الأَسَى   وَفِي البَرْقِ مَا يُدْنِي المَدَى المُتَرَامِيَا

إذَا قِيلَ: هَذَا مُخْبِرٌ مِلْتُ نَحْوَهُ   بِسَمْعِي، وَلَوْ كَانَ المُحَدِّثُ وَاشِيَا[(6)]

وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ غَيْرُ عَالِمِ   ولكنَّنِي أَسْتَدْفِعُ اليَأْسَ رَاجِيَا[(7)]

وتحتدم الشّكوك لانقطاع أخبار الأهل، فعزاؤهم في هذه الرّسائل الّتي تردهم بين حين وحين، وفي هذه البرقيَّات الَّتي يتناقلها الأثير لينقل إليهم أخبار أهليهم وذويهم، فيغرق الشَّاعر في ليل من الشّك والظنون، ويقطع أيَّامه طائر النَّفس، موزّع الخاطر، ما يملك اليقين فيهدأ، ولا يقنع بالشَّك فيستريح[(8)]، فيهتف الشَّاعر بحزن وأسى عميقيْن في قصيدته الَّتي يقول في بعض أبياتها :

سرى الشَّكُ حتَّى ما نصدِّق راويًا *** وطال فبتنا ما نكذِّب راويا

أقضي نهاري طائر النَّفس حائرًا *** وأقطع ليلي كاسف البال[(9)]ساهيا

فما هم بأموات فنبكي عليهم *** ولا هم بأحياء فنرجو التَّلاقيا[(1)]

[(1)]ـ المصدر نفسه ، أمراس من م ر س:الحبلُ ، ص 571.

[(2)]ـ المصدر نفسه ، لبنات من :اللَّبِنُ: المضروب من الطِّين مربَّعًا للبناء ، ص 545.

[(3)]ـ أبو ماضي إيليا، ديوان إيليا أبو ماضي، ، ص 557.

[(4)]ـ أبو ماضي إيليا، ديوان إيليا أبو ماضي ، ينظر ص 66.

[(5)]ـ المصدر نفسه، ص558.

[(6)] ـ مختار القاموس، واشيا من وشى: وشى به إلى السُّلطان وشيًا:نمَّ و سعى ، ص 658.

[(7)] ـ أبو ماضي إيليا، ديوان إيليا أبو ماضي ، ص 67.

[(8)] ـ المصدر نفسه، ينظر ص67.

[(9)] ـ ، كاسف البال :سيّء الحال ، انظر مختار القاموس ص530.

و للشَّاعر بعد هذه الآهة العميقة يستريح إليها كلَّما أرمضه الحنين:

فله إذا ذكر الدِّيار و أهله *** آه الغريب و أنَّه الثكلان[2]

بني وطني !من أنا في الوجود

وما هو شأني وما هو موضعي

ولولاكم لم أكن بالخطيب

و لا الشَّاعر السَّاحر المبدعِ[3]

فهو يكرِّم وطنه لأنّ له الفضل الأوّل في خلقه و تكوينه ، و هنا تطلّ علينا وطنيته من حيث اعتبار وطنه علَّة لوجوده،كما الأب علَّة لوجود الابن[4].

نيويورك! يا بنت البحار بنا اقصدي

فلعلّنا بالغرب ننسى المشرقا[5]

فإنَّ الشَّاعر يحاول أن يرى وطنه الجديد عزاء عن وطنه القديم و تعتاده هذه الفكرة مرَّة بعد مرّة ،فينثرها في شعره بين الحين والحين وهو على يقين من أنَّ لوطنه الأوَّل المنزلة الأولى في نفسه دائمًا و أبدًا و إنَّما يحاول أن يعزِّي نفسه و يسرِّي عنها [6]، وقد نجده مرَّة أخرى يلتمس مثل هذا العزاء بقوله:

ذرني اضطرب في الأرض إنِّي

رأيت السَّيف يصدأ في القراب

وما أنا بالغريب الدَّار وحدي

فكلّ النَّاس عندي في اغتراب[7]

ومن أجمل حنينه وأصدقه وأكثره حرارة قصيدته "أمنية مهاجر "بنغمة تفيض ألمًا ومرارة من المهاجرة والبعد عن الأهل و الوطن إذ تشعر في هذه القصيدة باللَّهفة الحَّارة و ندم الشَّاعر على البعد عن الوطن و الأهل، يقول في قصيدته:

جعتُ والخبز وفيرٌ في وطابي

و السّنا حولي وروحي في ضبابِ

وشربت الماء عذبًا سائغًا

وكأنِّي لم أذق غير سرابِ

[1] ــ أبو ماضي إيليا، ديوان إيليا أبو ماضي، ص 67.

[2] ــ أبو ماضي إيليا، ديوان إيليا أبو ماضي، ص67، ، الثكلان من الثُّكلُ: الموت والهلاك وفقدان الحبيب أو الولد، انظر مختار القاموس ص 85.

[3]ــ أبو ماضي إيليا، ديوان إيليا أبو ماضي، ، ص 68.

[4]ــ المصدر نفسه ، ينظر ص68.

[5]ــ المصدر نفسه ، ص68.

[6]ــ المصدر نفسه، ينظر ص68.

[7]ــ المصدر نفسه، ص68.

محنةٌ ليس لها مثل سوى

محنةِ الزَّورق في طاغي العُبابِ[1]

ليسَ بي داءٌ و لكني امرؤٌ

لست في أرضي و لا بين أصحابي

مرّت الأعوامُ تتلو بعضها

للورى ضحكي ولي وحدي اكتئابي

كلَّما استولدت نفسي أملًا

مدَّتِ الدُّنيا له كفَّ اغتصاب

أفلتت منِّي حلاواتُ الرُّؤى

عندما أفلتَ من كفِّي شبابي

بتُّ لا الإلهام بابٌ مُشرَعٌ

لي و لا الأحلَامُ تمشي في ركابي

ربِّي هبني لبلادي عودة

و ليكن للغير في الأخرى ثوابي[2]

ومن خلال تتبعنا و محاولة استقصائنا لنماذج من شعر إيليا لاحظنا أنَّ الحنين والشَّوق يسير عنده في اتجاهين اثنين :

1. اتجاه إنساني، وهو تذكُّر الأهل و الأقارب والأحبّة الَّذين تركهم هناك، وتذكّر تلك الأيَّام الحلوة و الحوادث المرحة الَّتي كانت ذات أثر طيّب في نفسه، والسَّعادة الَّتي كان يشعر بها هناك.
2. اتّجاه مكاني و هو تذّكر جمال الطَّبيعة بما فيها من نهيرات و ينابيع وأشجار وفواكه وورود، وحيث الشَّمس المشرقة والهواء العليل وبساطة الحياة، فنجد له في التَّشوق إلى بلده ولبنانه بربوعه، وصيفه، ونيسانه، وقمره، وناسه وما اتَّصل بذلك في قصيدته "لبنان":

اثنان أعيا الدّهر أن يبليهما

لبنان و الأمل الَّذي لذويهِ

نشتاقه و الصَّيف فوق هضابه *** ونحبُّه والثَّلج في واديهِ

وإذا تمدُّ له ذُكاءُ حبالها *** بقلائدِ العقيانِ تستغويهِ

[1]ــ العباب: معظم السّيل، انظر الرازي، مختار القاموس ص 401.

[2] ــ أبو ماضي إيليا ، ديوان إيليا أبو ماضي، ، قصيدة (أمنية مهاجر)، ص 125.

وإذا تنقِّطه السّماءُ عشيّةَ *** بالأنجم الزّهراء تسترضيهِ

وإذا الصّبايا في الحقول كزهرها *** يضحكن ضحاكًا لا تكلُّفَ فيهِ

هنّ اللّواتي قد خلقن لي الهوى *** وسقينني السِّحرَ الَّذي أسقيهِ

هذا الَّذي صان الشَّباب من البلى *** وأبى على الأيّام أن تطويهِ[1]

وبهذا فإنَّ قصائد الشَّوق و الحنين عند إيليا تمتاز برقّة الشّعور وهدوء الموسيقى، وسهولة الألفاظ ، و حلاوة العبارة، فأسلوب إيليا في الحنين يذوب رقَّة وصفاء ويميل إلى الهمس والنعومة حتَّى يتلاءم مع المناجاة، وبثَّ لواعج النّفس فهو يصبّ فيه ذوب روحه ورقَّة شعوره وعصارة ألمه ومرارته.

[1]ـ أبو ماضي إيليا، ديوان إيليا أبو ماضي، ، قصيدة لبنان، ص641.

الخـــــاتمة

بهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية مشوارنا في دراستنا لنوازع الشَّوق والحنين في الشِّعر المهجري و الاطِّلاع على الأدب المهجري و شاعرنا إيليا أبو ماضي في محاولة دراسة شيء من شعره المهجري :

- شعراء المهجر في اغترابهم المكاني والاجتماعي ،وحنينهم وشوقهم إلى المكان والإنسان يتوافقون مع معاني الشَّوق و الحنين الَّتي وردت في المعاجم الُّغوية.
- الشِّعر المهجري يشتكي الغربة في الوطن الجديد ،ويلتفت التفاتًا حارًّا إلى قضايا الوطن السِّياسية و الاجتماعيَة.
- الشِّعر المهجري يمتلئ بالشّوق و الحنين الصَّادق المؤثِّر في النُّفوس.
- هناك صلة وثيقة بين إيليا وشعره من جهة ،وبين ظروف وطنه و أمته من جهة أخرى فإيليا و شعره لا يمكن أنى يدرسا و يفهما بمعزل عن ظروف بلاد الشَّام عامة ، ولبنان خاصَّة و بمعزل عن بيئة المهاجرين العرب وظروفهم هناك .
- ظهرت سمات الشَّرق و الغرب في أغلب شعر إيليا ،فقد كان محبًّا للوطن العربي عامَّة و لوطنه لبنان خاصَّة.
- على الرُّغم من الظُّروف القاسية الَّتي واجهت أبو ماضي ، فإنَّه استمر في مهمته الحضارية و الفنِّيَّة، فقد أسهم بجلاء في رفعة الأدب العربي وتقدّمه و تلقيحه بالجديد الَّذي أمدَّه مضمونًا وشكلًا .

نحمد الله على توفيقه، ونسأله العون والسَّداد والخير الموصول والمأمول، فهو الولي ونعم المولى ونعم النَّصير.

المصادر والمراجع

1. بعيّو أبو جمعة، موازنة بين شعراء المهجر الشَّمالي وجماعة أبولو، منشورات جامعة قاريونس.
2. جبران خليل جبران، ديوان إيليا أبو ماضي، مطبعة دار العودة.
3. الجبّوري يحيى الحنين والغربة في الشِّعر العربي، دار مجدلاوي، الطَّبعة الأولى 2008,1428.
4. حسن محمّد عبد الغني، أشعار وشعراء المهجر، مطبعة دار الهلال .
5. الحموي ياقوت أبو عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان، المجلَّد الخامس، مطبعة دار بيروت.
6. حور محمد الحنين إلى الوطن في الأدب العربي-– ب ط .
7. خفاجى محمّد عبد المنعم، قصّة الأدب المهجري، دار الكتاب الّبناني، مطبعة بيروت.
8. داود أنس التّجديد في شعر المهجر، المنشأة الشَّعبية لنَّشر-الطَّبعة الثَّانية.
9. الدَّقاق عمر، شعراء العصبة الأندلسية في المهجر، مطبعة دار المشرق، الطَّبعة الثَّانية .
10. الزَّاوي أحمد، مختار القاموس، الدَّار العربية للكتاب.
11. الزَّمخشري، أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، الجزء الأوَّل، الطّبعة الثَّالثة.
12. ضيف شوقي دراسات في الشِّعر العربي المعاصر، مطبعة دار المعارف، الطَّبعة السَّابعة.
13. عبَّاس إحسان، الشِّعر العربي في المهجر، محمّد يوسف نجم، مطبعة دار المعارف، الطَّبعة الأولى.
14. العصمي الأمين، الغربة والحنين في الشِّعر الفلسطيني بعد المأساة، منشورات جامعة قاريونس بنغازي
15. الفاخوري حنّا، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، المجلّد الرّابع، ط دار الجيل، بيروت.
16. فرحات إلياس، شاعر العرب في المهجر، سمير بدوان قطامي، مكتب الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر.
17. المعوش سالم، إيليا أبو ماضي بين الشِّرق والغرب في رحلة التَّشرد والفلسفة والشَّاعرية، مؤسَّسة بحسون للنَّشر، الطَّبعة الأولى.
18. ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت.
19. ميرزا زهير، ديوان إيليا ماضي، ط دار العودة .

النَّاعوري عيسى، أدب المهجر، مطبعة دار المعارف بمصر، الطَّبعة الثالثة.